المشرق

رحلة
اول سائح شرقي الى اميركة

(١٦٦٨ — ١٦٨٣)

عُني بنشرها وتعليق حواشيها الاب انطون رباط اليسوعي

توطئة

الشرقيّون مغرمون بالاسفار. ذلك امر يشهد به التاريخ القديم والحديث وتثبته الرحلات العديدة التي قاموا واصفين بلاداً تكاد ان تكون مجهولة حتّى في ايّامنا لكننا لم نكن نعرف ان احداً منهم ساح منذ قرنين ونيف في اكثر البلاد الاميركيّة وزار مدنها وولاتها ونعتها وتفقّد احوالها ولم نعثر قطّ في المكاتب على ما يُستشفّ منهُ ذكر سياحة كهذه.

ففي اواسط ايّار من السنة الحاضرة بينما كنّا نطالع المخطوطات المحفوظة في مطرانيّة السريان بحلب استلفت نظرنا كتاب عربي عنوانهُ « سياحة الخوري الياس الموصلي » فاختلسنا اوقات الفراغ لقراءته واخذنا العجب لمّا رأينا كاهناً شرقيّاً قد زار اكثر الاصقاع الاميركيّة في القسم الثاني من القرن السابع عشر ووصفها وصفاً لا يخلو من اللذّة فعوّلنا على تعريف الكتاب ونشر اهمّ فصوله. ولمّا عرضنا فكرنا على سيادة الحبر الجليل العلّامة ديونيسيوس افرام نقاش مطران السريان الكاثوليك في الشهباء اذن لنا باستنساخه ونشره وكان قبولهُ لطلبنا شاهداً لنا جديداً على ما ازدان به من لطف الشمائل وكرم الطباع الذكيّة واثنى على همتنا كما اعتاد الثناء على كل عمل يؤول الى تعريف الشرق المسيحي ونشر تاريخهِ فليتنازل سيادتهُ ويتقبّل خالص شكرنا

(تعريف السائح) هو الخوري الياس ابن القسيس حنّا الموصلي الكلداني من عائلة بيت عموه. ولقد نظرنا في الكتب المطبوعة والمخطوطة التي بين ايدينا فلم نصل حتّى الان الى زيادة تعريف. وليس في رحلتهِ ما ينبئنا بشيء عنهُ خلا انهُ ذكر ابن اخ لهُ اسمهُ يونان انجز في سنة ١٦٧٠

دروسهُ في عاصمة الكتاكة ومنها رجع الى حلب. فرحازما من ذوي المبرة ان يتحفونا عا يزيل الشبه عن صاحب الرحلة فنكون لهم من الشاكرين

(الرحلة) في سنة ١٦٦٨ سافر الخوري الياس الموصلي من بغداد لزيارة القدس الشريف وبعد ان قضى مدَّة في حلب اخر من اسكندرونة الى البندقيَّة وايطاليـة وفرنسة واسبانيـة والبرتغال وجزيرة صقليَّة ثم عاد الى اسبانية وركب البحر من قادس الى اميركة فر على جزائر كناري ووصل الى قرطجنة في اميركة الجنوبية بعد ٥٥ يومًا قضاها في البحر ثم ساح في جهات بناما ومنها تتبع المدن والقرى والمناجم غربي اميركة الجنوبيَّة فزار البلاد التي تدعى الان كولومبية وحط الاستواء والبيرو وبوليفية الى اعالي بلاد الحكومة الفضيَّة وشيلي. ومن هذه البلاد عاد على الاعقاب الى ليما من اعمال البيرو سنة ١٦٨٠ وهناك كتب القسم الاوَّل من رحلته. وما لبث ان سار الى البـلاد التي يسميها ينكي دنيا اي المكسيك واميركة المتوسطة وبعد مدَّة قضاها في مكسيكو قفل راجعًا فركب البحر وعاد الى اسبانية فرومية وتشرَّف بمقابلة الحبر الاعظم. قال في ختام رحلته: «فانعم عليَّ البابا اينوسنسيوس الحادي عشر صاحب الذكر الصالح بوظائف لم اكن اهلًا لها. والحمد لله الى الابد امين». ولم يذكر سبب رحلته جليًّا لكنهُ يستشفُّ من غضون كلامهِ انهُ ذهب ليجمع حسنات المسيحيين لفائدة اهل جلدته والله اعلم

(صفات السائح) هو كاهن كلداني كاثوليكي ذو ايمان بسيط وتقوى صادقـة قليل الالمام بالانشاء والكتابة فيكتب ما يراهُ ببساطة ودقَّة وصدق. وقـد تتبَّعنا سفرتهُ على خارطة كبيرة فرأيناهُ لم يغفل بلدة ولم تخنهُ ذاكرتهُ الَّا نادرًا. ولكن انشاءهُ ركيك ووصفهُ خالٍ من التفنن خلا بعض فصول وشذرات. ومع ذلك فقد قرأناهُ بلذَّة لما يذكر من الامور الغريبة والتنقلات من مكان الى مكان ومن حال الى حال. وفي كتابهِ اغلاط نحويَّة كثيرة اسلفنا امسَّها تاركين لهُ سذاجة تراكيبهِ. ولا تخلو مطالعتهُ من فائدة يلتذّ بها السوريون المقيمون في البلاد التي زارها اعني وصف ما كانت عليهِ تلك البلاد ومقابلتها بما صارت اليهِ الان بفضل التمدُّن والدين. وكل يعلم ان الشعوب التي كانت في ادنى درجات الهمجيَّة اصبحت بفضل المرسلين في اعالي سلَّم الحضارة. وهناك فائدة اخرى للاتركيين انفسهم فانَّ الرحلات وان لم تندر لكنها مع ذلك لا تشفي الغليل وقد قابلنا بين رحلتهِ ورحلة بعض معاصريهِ فوجدنا رحلتهُ اهلًا لان تنظم في مصافّها

(وصف الكتاب) هو كتاب مخطوط مجلد تجليدًا قديمًا طول الوجه ٢١ سنتيمترًا في ١٥ س عرضًا وفي كل وجه ٢١ سطرًا. وهو مكتوب بخط جلي غير متقن يحتوي ٣٦٩ صفحة فمن ١ الى ١٠٠ رحلة المؤلف يليها الى صفحة ٢١٤ سبحة عشر فصلًا نقل فيها الرسالة تاريخ افتتاح امركة واخبار ولاتها وشعوبها وليس في هذا القسم الثاني كبير فائدة وتكتفي بنشر الرحلة. ومن صفحة ٢١٤ الى الاخير رحلة سعيد باشا سفير الدولـة العليَّة الى فرنسة في سنة ١١٣٢ هجريَّة وهي رحلـة معروفة باللغة التركية والافرنسيَّة لم نجد ترجمتها العربية في غير هذا الكتاب

وليس الكتاب من خط المؤلف وهو خلو من تاريخ ينبئ بزمن نقلـهِ امَّا عنوان الكتاب فهو: «صياحت (كذا) خوري الياس الموصلي وهو كتاب (وهنا محي الاسم وحكَّ لكنَّا قرأنا

« حنّا بن دياب الماروني في حلب » ويليهِ : « جبرائيل بن يوسف قرمز في ٥ كانون الثاني سنة ١٨١٧ »

ولا نعرف للكتاب نسخة أخرى في مكاتب اوربّة ولعلَّ القرّاء الكرام يعرفون منهُ نسخاً اكمل من التي بيدنا فلهم الشكر سلفاً عن كلّ افادةٍ يتكرّمون بها من هذا القبيل . وهذا بدء الشروع في ايراد السياحة التي نحن بصددها :

بسم الآب والابن وروح القدس الاله الواحد

دياجة الكتاب

الحمد لله الذي خلق البرايا بحكمتهِ . واخترع الموجودات بامرهِ وكلمتهِ . وصوَّر الانسان على شبههِ ومثالهِ . وسلَّطهُ على سائر المخلوقات بفضلهِ وانعامهِ . ونهاهُ عن ثمرٍ لا يأكلهُ لئلَّا يموت موتاً . فهذا المخلوق الضعيف لمَّا خالف امر خالقهِ وأكل من المنهيّ عنهُ تجرَّد من النعمة التي كان متسربلاً بها وصار مطروداً مع ذريَّته من فردوس عدن الى ارض الشقاء والحزن . الى ان تحنَّن عليهِ سبحانهُ وتعالى وشاء اعتاقهُ فارسل ابنهُ الحبيب الاقنوم الثاني وكلمتهُ الازليَّة الى بتول عذراء طاهرة واشرف المخلوقات وحلَّ في احشائها حلولاً لا يدرك ولبس منها جسداً كاملاً وصار انساناً ما خلا الخطيئة وتردَّد بين العالم وصنع الآيات بشفاء المرضى وقيام الاموات ثمَّ اختار لهُ تلاميذ اناساً سُذَّجاً صيَّادين وشرع لهم نواميس وقوانين وامرهم ان يجولوا بكل العالم ويبشروا بكرازة الانجيل الطاهر قائلاً لهم (متَّى ٢٨ : ١٩) : امضوا واكرزوا وعمدوا باسم الاب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدن . وقال لهم ايضاً (متَّى ١٨ : ٥) : فمن قبلكم فقد قبلني . ووعدهم ايضاً عند صعودهِ انهُ يرسل لهم الروح المعزّي ليمنحهم نعمة وحكمة . فبعد صعودهِ وجلوسهِ عن يمين الاب ارسل لهم الروح البارقليط فحلَّ عليهم كألسنة نار فصاروا يتكلَّمون بسائر اللغات المختلفة فانتشروا في سائر اقطار المسكونة جائلين مبشرين بالانجيل وكانت آياتهم شاهدة لاقوالهم فقومٌ منهم حصلت لهم بلاد الشرق والبعض ذهبوا الى الغرب والبعض الى القبلة والبعض الى الشمال فثبت بهم قول داود النبي القائل عنهم (مز ١٨ : ٥) : في كل الارض ظهرت بشارتهم وسُمعت اصواتهم في اقطار المسكونة . كانوا عاثرين منضاقين مطرودين محقورين

لابسين جاود الحملان (عبرانيين ١١ : ٣٧) وكانت اشعّة انوارهم تشرق وتنير تلك الاقاليم المظلمة حتى انهم بكرازتهم طهّروا المسكونة من عبادة الاوثان وارجعوهم من الضلالة والطغيان وأختاروا لهم تلاميذ واخلافاً وخوّلوهم تلك المواهب وإنعام الروح القدس لكي يتولوا من بعدهم الرئاسة والتدبير جيلاً بعد جيل متداومين الى انقضاء العالمين

فاما الكنيسة المقدّسة عروس السيد المسيح التي جُعل مار بطرس الصخرة رأسها ومدبرها من بعد صعوده المجيد . ومن بعده للذين يخلفونهُ فلم تزل تمتدّ اطنابها وتتوسّع اكنافها حتى انهُ لم يخلُ مكان واقليم من اربعة اطراف المسكونة الّا وتجد فيه كازة الانجيل وصحّة الايمان المستقيم بين طوائف مختلفة ولغات متفرّقة . واما اللعين الثلّاب . عدوّ الخير والثواب . فلم يزل مجتهداً ومحترساً على تزعزع ضمائر المؤمنين حتى يطفيهم ويطرحهم من احضان الكنيسة امهم . فنصب لهم شباكهُ وفخاخهُ وزرع في قلوب البعض منهم زوان الحسد والكبرياء والعصيان . حتى ان بعض طوائف الناس انكروا الطاعة للكنيسة الرومانيّة ولرئيسها ومدبرها الذي هو الحبر الاعظم وراعي الرعاة العام . وجعلوا لهم رؤساء مختلفين مضادّين بعضهم بعضاً حتى انهُ تبارك وتعالى سلّط عليهم اعداءهم فثبت قول السيد المسيح في انجيلهِ المقدّس على لسان مار لوقا البشير في الفصل الثاني والخمسين مخاطباً اليهود قائلاً (١ : اذا رأيتم ابراهيم واسحاق ويعقوب وكل الانبياء في ملكوت الله فها هوذا يكون الاولون آخرين والاخرون اوّلين . فلمّا تفرّقت الطوائف المذكورة من احضان الكنيسة المقدّسة شاء السيد المسيح ان يدخل عوضهم أناساً مختلفي الاجناس والطباع . غريبي الالسن واللغات قاطنين في البراري والجبال ساكنين بعيشة وحشيّة لا فرق بينهم وبين البهايم معذّبين ومنقادين بضلالة الشيطان فقومٌ منهم عبدوا الحجارة وطائفة عبدت الوحوش وآخرون عبدوا الاشجار وغيرهم كانوا يقدّمون ذواتهم ذبيحة للشيطان اللعين وكانوا ساكنين في الاقليم الرابع الذي كان مخفيًا عن الابصار ومستورًا عن الافكار حتى انّ القديس العظيم معلّم الكنيسة المقدّسة مار اغسطينوس كان يظنّ انّ هذا الاقليم هو غير مسكون من

(١) متى ٨ : ١١ لا كما جاء خطأً . ولا عجب من تمينه ٥٢ فصلاً في انجيل القديس لوقا لان تقسيم الفصول كان يختلف مع البلدان والازمنة الى ان انتشر التقسيم الروماني المعروف

البشريين . فسبيلنا ان نبرهن ونبيّن رجوع هذه الطوائف المذكورة الى الايمان الحقيقي واحتضانهم للكنيسة المقدّسة حتى ان كثيرين منهم بعد دخولهم في الايمان بالمسيح حُسبوا من جملة القديسين . واما هذا الاقليم الذي قصدنا التكلم عنهُ فهو ممتدّ الطول والعرض وهو اكبر من الثلاثة اقاليم الاخرى المعروفة باسيا وافريكا واوروبا طولًا وعرضًا وقد جعلوا لهُ اسمًا جديدًا وسمّوهُ ميريكا مسلوبًا (١ وسوف نتكلّم عنهُ في مكانه ونحرّر سبب كشفهِ وبيانهِ وزمن كل شيء في حينهِ واوانهِ . ونستعين بالله على الزيادة والنقصان والسهو والنسيان لانَّ ذلك يوجد في كل انسان والحمد لله دائمًا الى الابد

كتاب سياحة

المتوري ايلياس ابن القس حنا الموصلي من عيلة بيت عموده الكلداني

يخبر بهِ عن بلاد الهند المغرب وسبب فتح تلك البلاد من البنيوليين وايضًا عمّا نظر بعينهِ في مدّة اثنتي عشرة سنة التي مكث فيها هناك في مملكة يَكي دنيا (٢ وفي بلاد البيروه (٣ وقد استخرج ايضًا من كتب تواريخ المعلمين المشوقين بعض اخبار وترجمها من البنيولية الى اللغة العربية (٤ بنظمهِ وترتيبهِ في تاريخ سنة الف وستماية وثمانين للمسيح في بلد ليما في البيروه

---

١) بقوله ان « اسم امركة مسلوب » يريد ان الاقليم الرابع الذي وصفهُ كان حقُّهُ ان يُسمّى باسم مكتشفه كريستوف كولومب . قال في الصفحة ١٠٣ من هذا الكتاب حيث يذكر تاريخ الاكتشاف : « وكان في رفقة المكتشفين رجل اسمهُ ميريكو (Américic Vespuce) من بلاد ايطالية من مدينة فلورنسة وكان نوتيًّا في المركب ذا تدبير وعلم وعقل . فشخّص تلك الارض وعنودها على ورقة (خارطة) وعرضها على ملك اسبانية فحينئذٍ سُمّيت تلك الارض ميريكا . . . وبالحقيقة كان الواجب ان تدعى باسم كولون (كولومب) لانهُ كان المبتدئ والمجتهد في هذا الامر . لكن بعد ما انتشر هذا التكني في افواه الخلائق وشاع على مسامع الناس جميعًا لم يكن ممكنًا ان يتغير فبقيت تسمّى ميريكا »

٢) يكي دنيا كلمة تركية معناها العالم الجديد وقد اراد المؤلف بهذا الاسم بلاد المكسيك وضواحيها التي كانت تسمى اسبانية الجديدة ومعلوم ان الشعر المعروف عند الافرنج باسم (nèfles du Japon) يسمّى عندنا يَكي دنيا نسبةً الى اصلهِ الاميركي

٣) البيروه (Pérou) بلاد معروفة في امركة الشمالية

٤) قسم المؤلف رحلته الى قسمين ذكر في الاول سفره من بغداد الى بلاد الفرنج وبلاد امركة وعودته الى اوربة وهذا ما عندنا الان بنشره . وفي الثاني وصف في سبعة عشر فصلًا تاريخ اكتشافها واخبار ملوكها القدماء والتاعين لها من الاسبانيين متبعًا الاخبار نقلًا عن التواريخ الاسبانية وملخّص بالايجاز مجموع اخباره . وقد كتب هذه الاخبار في ليما عاصمة البيرو كما جاء في المتن سنة ١٦٨٠ لكنهُ اعاد فيها النظر وزاد عليها ما جرى لهُ حتى عودته الى اوربة

١ من بغداد الى البندقية

فاقول انا الحقير في الكهنـــة اني في تاريخ سنة الف وستماية وثمانية وستين للسيد المسيح خرجت من مدينة بغداد قاصدًا زيارة قبر المسيح في رفقة الطوبجي باشي المسمّى ميخائيل آغا (١ ثم اننا سرنا في درب القفر . ففي نصف الدرب خرج علينـــا لصوص مقدار مائة نفر وصـــار بيننا حرب فظفرنا بهم . وكان ذلك نهار عيد القيامة . ونحن كان عددنا اثني عشر نفسًا . لكن بقوّة آلات الحرب من التفنك (٢ انتصرنا عليهم . ومن هناك اخذنا دربنا وسرنا الى مدينة الشام ومن الشام قصدت القدس الشريف وتشرّفتُ بزيارة تلك الاماكن القدّسة

ثمّ ذهبتُ الى مدينـــة حلب . وبعد ايام انحدرت الى ميناء البحر الذي يسمّى اسكندرونة فمن هناك ركبت في مركب انكليزي وسرنا قاصدين بلاد اوروبّة . فجزنا الى جزيرة قبرص وهناك زرت قبر القديس عازار واختـــه مريم ومرتا (٣ ومن هذه

١) ننقل عن الصكوك والاوراق الخطيـــة المحفوظة في مكتبتنا ما نعرفهُ عن هذا الرجل : هو ميخائيل كوندوليو (Condoleo) طوبجي باشي او مدير الطوبخانات الشاهانيـــة في الشام وحلب وبغداد الخ . ولد في كريت وسكن دمشق الشام وكان يجول في البلدان بامر الحكومة السنيـــة ليتفقد احوال الطوبخانات وقد ذكره مرارًا المرسلون في رسائلهم لما كان عليهِ من الثبات في الدين الكاثوليكي والعيشة المسيحية وكان لهم اعظم نصير بالمساعدة المادية والادبيّة وكان كثير الثروة واسع الجاه متقد النيرة . وقد ذكره بالثناء مرارًا الاب يوحنا اميو Amieu رئيس الرسالة اليسوعية سنة ١٦٤٦ وأَلمح الى اسفاره الى بغداد . وكان لميخائيل آغا اولاد وكلّ عم الاب هيرونيموس كيرو (Queyrot) المرسل اليسوعي في دمشق الشام ليتلقنوا منهُ التعليم المسيحي والعلوم الادبيّة ويدرسوا اللغة اليونانية التي كان يلقنها عندئذٍ الاب كيرو المذكور لتلامذته العديدين من الروم الملكيين

٢) التفنك كلمة تركية معناها قصبة ثم جرى استعمالها باللغـــة التركية والعربية في حلب وما بين النهرين بمعنى البارودة او البندقية وهذا المعنى دارج في البلاد الداخلية الى الان

٣) يعرف القرّاء ان مكان قبر مريم المجدليـــة ومرتا ولعازر من المشاكل التاريخية التي لا يزال المؤرخون يتباحثون في حلّهِ فالفرنساويون وسكان اقليم بروفنسة خاصّةً يذهبون الى انهم عاشوا بعد قيامة المخلص وماتوا في ضواحي مرسيلية ودفنوا على قُلّة يحجُّ اليها الزوّار متبركين وهي قلّة سنت بوم (Sainte-Beaume) اما سائر المؤرخين لاسيّما المحدثين فانهم ينكرون حقيقة هذا الخبر ولا يسلمون بهذه الذخائر . ومن البراهين التي يثق بها الفرنسويّون تقليد يعزونهُ الى رهبان جزيرة قبرص جاء فيهِ ان مسيحيي الشرق يعتقدون نقلًا عن تقليد قديم انّ لعـــازر ومرتا ومريم دُفنوا في ضواحي مرسيلية وقد ذكر العلماء البولنديون في المجلد الخامس عشر بتاريخ ٢٢ تموز هذا الراي استنـــادًا الى رسالة بعث بها الاب يوسف بسّون (Besson) اليسوعي بتاريخ ١٧ نيسان

الجزيرة رحلنا . وبعد ايام جزنا على جزيرة قريطش التي تسمّى كريد . ومن هناك وصلنا الى جزيرة زانطية وهي في حكم البندقة مع جزيرتين أخريين قريبتين منها تسمّيان كورفو وسافولونية وهي ايضاً في حكم البندقية التي تسمّي باللسان التركي وانديك (١ المعروفة في كل الدنيا ومن هناك سرنا

وبعد ايام عبرنا الى ميناء البندقيّة المذكورة . وكانت عدّة الايّام التي بقينا فيها على وجه البحر سبعين يوماً من خروجنا من اسكندرونة الى أن دخلنا الى هذا الميناء (٢ ثم اخرجونا من المركب وجعلونا في بيت التطهير الذي يسمّى نازاريت (٣ باللسان الطلياني فمكثنا هناك واحداً واربعين يوماً كالرسوم . وهذا نازاريت هو خارج عن المدينة وذلك عادة في بلاد النصارى خوفاً من الطاعون . ففي تمام الواحد والاربعين يوماً اتى الحكيم باشي لينظرنا هل بيننا احد مريض . فبعد ذلك اعطونا دستوراً ان نخرج من نازاريت . فخرجنا ودخلنا الى البلدة المذكورة وبقيت هناك عشرين يوماً متنزهاً وزرت كنائسهم والفنى الذي نظرتهُ في كنيسة مار مرقس الانجيلي (٤ هو شيءٌ لا يوصف

ثمَّ من بعد تلك الايّام توجهت الى مدينة رومية العظمى وسكنتها ستّة اشهر وزرت الاماكن المقدّسة خصوصاً كنيسة مار بطرس الرسول الفريدة في المسكونة لحسنها . وبعد ذلك خرجتُ قاصداً بلاد فرنسة فرأيت على ارض امير يسمّى كان دوكه

١٦٦٠ الى الاب دي غوردان رئيس اليسوعيين في إس (Aix-en-Provence) لكنا نرى رحّالتنا يذهب مذهباً آخر يتناقلهُ اليوم اهل قبرص الروم وهم يكرّمون قبر القديس لعازر في كنيستهم الكبرى . والله اعلم بالصواب

١) واناديك اسم البندقيّة او قينية بلغة التركيّة

٢ كانت السفن في القرن السابع عشر تقطع راساً المسافة بين اساكل سوريّة والبندقيّة بثلاثين يوماً وقد كانوا يبلغونها بخمسة عشر او عشرين يوماً اذا ساعدتهم الريح لكن العواصف والحاجة الى الوقوف في موانئ جزائر البحر المتوسط كثيراً ما كانت تؤخر وصولهم الى شهرين او اكثر

٣ نازاريت بالطلياني (Lazaretto) والفرنساوي (Lazaret) المكان الذي فيهِ يقضي القادمون من البلاد الموبوءة حجرهم الصحّي مدّة اربعين يوماً والكلمة مشتقّة من اسم لعازر (Lazare) وبهِ سمّيت في الاجيال المتوسطة مآوي المصابين بالجرص فيكون معناها الاصلي مستشفى الجرص (Léproserie) وكان هذا المستشفى خارج البندقيّة يُدعى سانت ماري دي نزارت (Ste Marie de Nazareth) ولهذا سماهُ المؤلف نازاريت لا لازاريت

٤ هي الكنيسة الكاتدرائيّة الشهيرة في البندقيّة

توسكانا (١ وهو يسكن بلد فلورنسة . وهذا الامير هو غني جداً ذو مال وخزائن . ومن فلورنسة انحدرت الى ميناء البحر الى بلد تسمّى ليغورنة من حكم هذا الامير المذكور . وبعد ايام قليلة سافرت الى بلد جينوا ميناء البحر وهي تحت حكم امير يحكم على ذاته . وهذا البلد شريف بالعمارات غني بالاموال

٢ سياحة في فرنسة

ومن هناك ايضاً سافرت في البحر فوصلت الى ميناء بلد مرسيلية من حكم فرنسة ثمّ خرجنا الى الارض ومشينا الى مدينة اوينيون التي هي تحت حكم سيدنا البابا (٢ وهذه البلدة هي في فرنسة لكن ملوك فرنسة القدماء كانوا اهدوها مع بعض قرى الى كنيسة مار بطرس . ومن هناك ركبنا في سفينة على النهر والخيل كانت تسحب السفينة ضدّ جريان الماء . فوصلنا الى بلد ليون وهذا البلد من اعظم بلاد فرنسة من بعد مدينة باريس بلد ملك فرنسة

ثمّ اني اجتمعتُ هناك مع رجل قديس يسمّى موسيو بيكيت (٣ فهذا الرجل

---

١) وبالفرنسية (Le Grand Duc de Toscane) وكان اسمهُ اذ ذاك الدوك فرديناند الثاني (١٦٢١—١٦٩٠) وكان لامراء توسكانا تساهل في حلب والاساكل في ذلك العهد

٢) مدينة اڤينيون وما حولها من القرى اشتراها البابا اكليمنضس السادس من حنّة ملكة صقلية وكونتس پروفنسة سنة ١٣٤٨ واقام فيه الاحبار الرومانيون من سنة ١٣٠٩ قبل شتراها الى سنة ١٣٧٧ ولبثت بعد ذلك تحت حكم الاحبار الرومانيين يديرون شؤونها باسمهم نائب رسولي الى زمن الثورة الافرنسيّة فاغتصبها الثائرون سنة ١٧٨٩ وتملكوا عليها

٣) فرنسوا پيكيت او پيكه (François Picquet) ولد في ليون ١٢ نيسان ١٦٢٦ وجعل قنصلاً لدولة فرنسة وهولندة في حلب سنة ١٦٥٣ حيث عاش عيشة تقويّة مثال الفضيلة والغيرة وخدم الدين والدولة احسن خدمة واشتهر بمساعدته للكاثوليكيين تخصّ بالذكر ما صنعهُ لاقامة اندراوس بطريركاً كاثوليكياً على السريان . وقد اجمع المرسلون والشعب على حبهِ واكرامهِ لما ازدان بهِ من السجايا . وفي سنة ١٦٦٢ عاد الى بلاده فاقام فيها ثماني سنوات ثم سيم اسقفاً على مزاربوليس (Césarople) ثم على بابل وناباً رسولياً على العجم واختارهُ لويس الرابع عشر سفيراً لهُ لدى جلالة شاه العجم فعاد الى سوريّة ومنها ذهب الى العجم حيث خدم الكنيسة والشرق المسيحي خدمة مشكورة . توفاه الله في مدينة همذان من اعمال العجم في ٢٦ آب سنة ١٦٨٥ (اطلب حياتهُ باللغة الافرنسيّة Vie de Messire F. Picquet par Mgr. d'Antelmy (Documents inédits pour اطلب ايضاً كتابنا الافرنسي المنون évêque de Grasse) servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, t. I. chez A. Picard et fils à Paris, Luzac et Co. à Londres et Harrassowitz à Leipzig. صفحة ٩٦ و١٠٣ و١٠٤ الخ)

الشريف كان سابقًا قنصلًا في حلب وبعد رجوعهِ من حلب ارتسم اسقفًا على مدينة بغداد وكانت وفاتهُ في العجم في بلد امادان (١ . وما لنا زمان لنتكلّم عن فضائلهِ وحسن سيرتهِ . ثم بعد أيّامٍ خرجتُ من ليون وسرت الى مدينة باريس تخت ملك فرنسة فدخلتها ورحتُ زرت الملك المنصور لويس فاكرمني ثم اني زرت اخاهُ امير اورليانوس (Duc d'Orléans) واهديته سيفًا وقدّمت لهُ في الكنيسة التي في سرايتهِ . فاكرمني زائد الاكرام . ثم رحت زرت اميرًا يسمّى سانتينيان (S^t Aignan) ودفعت لهُ مكتوبًا كان اعطاني اياه عمهُ البادري حنّا الراهب الكبوجي (٢ الصالح الذكر الذي كان رئيسًا في حلب فعمل لي عزًّا واكرامًا جزيلًا لاجل وصيّة عمهِ البادري المذكور

ثم اني نزلت في المكان وبقيت اتنزّه في هذه البلدة العظيمة التي لا مثيل لها في كل الدنيا بحسنها وعدالة حكمها واستقامة شرعها وزيادة محبّة اهاليها للغرباء . وقد نظرت امرًا يستوجب الذكر والمدح لفعلهم هذه الخيرات والاحسان وذلك عدّة نساء عددهنّ سبع عشرة امرأة من الاشراف بعضهنّ عذارى وبعضهنّ ارامل . اما العذارى فقد تزهدنّ عن الدنيا وتركنّ كل تقدمهنّ في الشركة المباركة وتسمّى هذه الشركة باللسان الفرنساوي شاريته (charité) (٣ اعني مجمع الخيرات . هذا قد اسّسوهُ من القديم . وايضًا الارامل قد تركنّ مقتناهنّ في هذه الشركة . وجميع هذه الاموال التي قد اوقفنها الى هذا المجمع هي مؤمّنة عند اناس الربح (٤ وفي كل سنة تربح مليونين اي عشرين كرّة من المال . ثم تجتمع هؤلاء النساء المباركات في الجمعة مرّة ويقسمنَ هذه

---

١) يريد همذان من حواضر العجم

٢) هو الاب يوحنّا دي سنت ايغنان (Jean-Baptiste de S^t Aignan) الكبوشي كان مرسلًا تقيًّا وغيورًا خدم الكنيسة في رسالة حلب والموصل سنين طويلة باجتهاد لا يعرف الملل وكتب مساريض لا تزال محفوظة في مكاتب باريس وقد استنسخنا بعضها . ومن معاصريهِ الكبوشيين النيورين الاب سلفستروس دي سانت اينيان ونقتهُ اخاه . وقد وجدنا توقيعهما مرارًا في الرسائل المقدّمة للكرسي الرسولي وللوزارة الافرنسيّة مع توقيع الاب نقولا بوارسون Poirresson رئيس اليسوعيين ومع رؤساء الكرمليين الاب يوحنّا بطرس والاب يوسف ملاك

٣) هي جمعيّة راهبات المحبّة التي اسّسها القديس منصور دي بول فانتشرت في كل انحاء المسكونة معطرة الغرب والشرق بعرف فضائلها وخدمتها للساكين

٤) يريد المصارف

الدراهم المذكورة على الفقراء والمحتاجين وعلى الكنائس والاديرة وايضاً على المرضى والغرباء وعلى الذين يكرزون بايمان المسيح في بلاد الشرق . وايضاً يتقدن لبعض بنات فقراء ويزوّجنهنّ من هذه الصدقة . ونظرت اشياء كثيرة واجبة للمدح والوصف في هذه المدينة العظيمة .

ثمّ وفيما انا هناك والّا اقبل قاصد من عند السلطان محمّد خان الى الملك لويس وهذا القاصد يسمّى باللسان التركي والفارسي ايلجي (١ فانا رحت زرت هذا الايلجي عدّة مرار لاجل اللسان التركي ثم طلب مني ان ابقى في باريس ولا اروح فبقيت ثمانية اشهر

٣ اسبانية ايطالية

ثمّ بعده خرجت من هناك قاصداً بلاد اسبانية فجزت على بلد عظيم يسمّى اورليانوس (Orléans) ومن هناك رحت الى مدينة تسمّى بوزاس (٢ ومن هناك الى مدينة بواتيه ومنها الى مدينة تسمّى بورديوس (Bordeaux) التي هي على شاطئ نهر كيرو. وقد قطع الملك لويس المذكور الجبال وخلط البحرين في بعضها واصبحت المراكب تسير بسهولة في هذا النهر المذكور من بحر الاوقيانوس الى بحرين ارضيين (٣

ومن هناك سافرت الى اسبانية وجزت على بلاد وقرى لا تحصى حتى بعد اثني عشر يوماً انتهيت الى نهر وهذا النهر هو الحدّ بين حكم فرنسة واسبانية وهناك قلعة تسمّى سان جوان دي لوا (S^t Jean de Lux) من حكم فرنسة

---

١) هذا السفير العثماني هو سليمان آغا سفير السلطان الاعظم محمد الرابع وصل الى طولون في ٤ آب سنة ١٦٦٩ حاملاً رسائل جلالة السلطان الاعظم الى الملك لويس الرابع عشر فسار في موكب عظيم الى باريس وقابل المسيو دي ليون وزير الملك ثم حظي بمقابلة الملك في حفلة عظيمة . وبقي في باريس مدّة كان فيها للمسيو دارفيه (d'Arvieux) رفيقاً لهُ . اطلب Vandal : M^{is} de Nointel p. 24 et Mémoires d'Arvieux t. IV

٢) لا نعرف مدينة اسمها بوزاس بين بوردو وبواتيه ان لم يكن تصحيف تور (Tours) او امبواز (Amboise) او بلوا (Blois) فهذه المدن الثلاث على شاطئ نهر اللوار على طريق سائحنا من بوردو الى بواتيه

٣) يشير الى الاشغال التي أُنجزت بامر لويس الرابع عشر ليسهل على السفن العبور في نهر الجيرونده (Gironde) وقد جمع بين ذراعي النهر الممتدّين حول الارض المسماة « ما بين البحرين » Entre-deux-mers «

ثم جزنا النهر ووصلنا الى قلعة من حكم اسبانية تسمّى فونته اربيا (Fuenterabia) وجانبها بلدة صغيرة تسمى ايرون (Irun) ومن هناك قصدت بلدة تسمّى سان سبسطيان وهي ميناء في البحر الغربي ومن هناك سافرت في الارض الى مدريد تخت ملك اسبانيــة وعبرت على بلدة تسمّى بوركوس (Burgos) ونظرت هناك ديرًا لرهبان مار اوغسطينوس وكان في كنيستهم مذبح فيهِ صلبوت السيد المسيح الذي يسمى في اللســان السبنيولي كريستو ده بوركوس (Cristo de Burgos) (١ ويظهر منهُ عجائب كثيرة وايضًا نظرت هنــاك في دير الراهبات قبر ملك سيس الارمني (٢ الذي كان يسمى اوانيسي تاكا (؟) وكتابة قبرهِ باللسان الارمني . ثمَّ من هناك سافرت وجزنا على مدن وقرى لا تحصى حتى اني وصلت الى مدريد تخت الملك ففي ذلك الحين كانت تحكم الملكة امرأة الملك (٣ فيليبه الرابع لانهُ كان قد توفي الملك وخلف ابنًا صغيرًا يسمّى كارلوا الثاني . ثم اني قدّمت لها مكاتيب البابا اكلمندوس التاسع فأمرتْ ان يعطوني الف غرش (٤ من حاكم سيسيلية والف غرش من حاكم نابولي ثم اني اخرجت من يدها امرًا على تحصيل الدراهم

فخرجت من مدريد قاصدًا ارض ايطالية . فدخلت الى كورة اراكون (Aragon) ووصلت الى بلد تسمّى سراكوزا (Saragosse) حيث يتوَّج ملوك اسبانية . . . حينئذٍ نظرت هناك اخا الملك يسمى دون خوان ده اوستريا . وهو اخ طبيعي لهذا الملك ثم زرتهُ فاكرمني . ومن هناك سافرت قاصدًا البحر . فوصلت الى مدينــة تسمى برسلونا (Barcelone) وهي من كورة كاتالونية (Catalogne) وهي ميناء البحر الشرقي فسافرت منهــا في البحر مع جكتريات (٥ ملك لسبانية وبعد يومين عبرنا الى ميناء

---

١) هو الصليب المنسوب الى القديس نيقوديموس ويكرم في اسبانية من عهد قديم

٢) لا نعرف عن هذا الملك شيئًا

٣) اي حنَّة النمساويَّة (Merie - Anne d'Autriche) امرأة فيلبس الرابع المتوفى سنة ١٦٦٥ وكان لكارلوس الثاني ابنٍ اربع سنوات فقط فاقيمت امهُ على ادارة المملكة لكن جوان (Juan d'Autriche) اغتصبها الادارة مدَّة ولَّما مات عادت الملكــة الى الحكم الى ان بلغ كارلوس اشدَّه

٤) كان الغرش عندئذٍ يعادل الدينار (écu) قيمةً

٥) جكتريه او بالحري جكدريه كلمة تركية معناها السفن

تسمى كاتاكيس (Cadaquès) حيث يخرج المرجان . وبقينا هناك خمسة وعشرين يوماً بسبب العواصف الكائنة في البحر في الكولفو ده ليون (Golfe du Lion) لانَّ المجاز من هناك خطر عظيم

ثم بعد زمان نهار الاحد قدَّسنا وأقلعنا وفتحنا الشراع وسافرنا . فبعد يوم وليلة جزنا ميناء طولون من حكم فرنسة ومن هناك سافرت الى روميسة فنظرت ابن اخي الشماس يوتان (١ قد ختم قراءتهُ في المدرسة وهو قاصد ان يخرج من رومية ويرجع الى البلاد بعد ان جهزهُ المجمع المقدَّس من كتب واشياء أُخر لازمة . ومن هناك وصلت الى نابولي وقدَّمت امر الملكة الى وزيرها الذي كان يحكم هناك الذي يقال لهُ وي ارلي (٢ فقرأه وجاوبني قائلاً : اذهب الى سيسيلية وحصل الالف غرش فسافرت الى جزيرة سيسيلية ودخلت مدينة تسمى باليرمو (Palerme) حيث وزير الملكة الحاكم الذي يقال لهُ ايضاً وي الري . فعرضت عليهِ الامر ان يعطيني الالف غرش فوعدني انهُ يعطيني اياها . وبعد شهرين قال لي : لا اقدر اعطيك . ثم اني ارسلت من هناك الشماس يوتان ابن اخي الى حلب . وانا لمَّا نظرت ان ليس لي رجاء من هذا القاسي القلب ان يعطيني الالف غرش بعد تعب القلب الذي حصل لي في سفرتي رجعتُ الى نابولي لاحصل الالف غرش الاخرى من الوزير الاوَّل مثل ما كان وعدني فهذا ايضاً جاوبني قائلاً ما اعطى حاكم سيسيلية الالف غرش ولا انا اعطي شيئاً ولا عندي دراهم

ثم اني رجعت مرَّة أُخرى الى اسبانية غانب الرجاء حتى ارجع الامر الى الملكة فرجعت الى رومية ومنها الى ميناء ليفورنة وركبت في البحر ووصلت الى مدينة برسلونة المذكورة . ومنها جئت الى سراكوزا ورأيت هناك انا الملك المذكور فاخبرتهُ بما جرى لي من الاتعاب والخسائر لاني صرفت لربهانة غرش في الرواح والمجيء . فشقَّ ذلك عليهِ وكان صحبتي واحد رومي من اولاد حلب يخدمني اسمهُ يوسف التتَّال . ثم اني رجعت الى مدريد وعرضت حالي على الملكة فصعب عليها ذلك بسبب عدم قبول امرها ثم بعد اني ارجعت لها امرها خرجت من مدريد قاصداً بلاد البرتكال . وفي ذلك الزمان كان ملكهم موجوداً في جزيرة تسمى ايزلا ترسيرا (Isola Terceira)

---

١) لا نعرف شيئاً عن هذا الشماس وظنهُ درس في مدرسة البروباغندة

٢) وبالاسبانيَّة (Vey El Rey) اي نائب الملك (Vice-Roi)

وذلك لعدم نسله بعد ان ثبتت معهُ امرأتهُ ثلاث سنين . واما هذه الثنيَّة فكانت فرنساويَّة وزوجها الاوَّل كان يسمى الملك دون الونصو Alphonse (VI ولكن هذا زوجها الثاني فكان يسمى دون بيدروا Don Pedro نعم انهُ جلس في مكانهِ لكن لم يسمُّوهُ ملكًا لكن اميرًا بسبب ان اخاه كان باقي في الحياة . وبعد ان تزوَّجها رُزق بنتًا . ثم اني ذهبت الى عند هذا الامير وتكلَّمت معهُ وبقيت في هذا البلد سبعة اشهر وزرت جميع كنائسها وديورتها واما سكَّان هذه البلدة فمنهم أناس اجواد كرماء وكاثوليكيُّو الايمان . وايضًا يوجد هناك نصارى جدَّد وهم من ملَّة اليهود المتنصرين وهم معلومون عند الكل وما يتزوَّجوا من النصارى القدماء والبعض منهم بالحقيقة ناكرو دين المسيح . فلمَّا يتحقَّقون امرهم انهم كذلك يحكم عليهم ديوان الايمان بالحريق . واما هذه المدينة ليزبونا (Lisbonne) فهي ميناء البحر . ومنها تسافر المراكب الى هند الشرق الى بلاد كوا التي من حكم البرتكال

٤ اهبة السفر الى اميركة

وبعد ان بقيت هنالك سبعة اشهر رجعت الى بلد مدريد المذكورة وسكنت في دار امير يسمى الدوكه ده اوبرو . وصار لي من هذا الرجل ومن بقيَّة الاصحاب اكرام زائد واحدى السيدات تسمى ميركيزا ده لوزوبلس التي ربَّت الملك عملت لي اكرامًا عظيمًا وطلبت من الملك دستورًا ان اقدَّس له فكان معي شماس رومي وكنت علَّمتهُ يخدم قدَّاسي . فدخلت كنيسة الملك وقدَّست امامهُ وامام والدته ثم بعد ذلك امرت الملكة مربية الملك ان تسألني اي شيءٍ اطلب حتى تهبني . فاخذت منها مهلة ورحت شاورت بعض الاصحاب فأشاروا عليَّ ان اطلب اجازةً وامرًا قاطعًا حتى اتوجه الى بلاد هند الغرب (١ فصعب عليَّ هذا الامر لكن جعلت الحملة على الله واتكلت عليه وطلبت الامر . لانهُ لا يقدر غريب ان يجوز الى بلاد الهند ان لم يكن معهُ امر من الملك . وكان في ذلك الزمان النونسيو الذي هو رسول البابا في مدريد يسمى الكردينال ماريسكوتي . وهذا المبارك ساعدني بنصائح

ثم اني اخرجت الامر من الملكة ففرح بعض الاصدقاء لهذه النعمة التي انعمت بها عليَّ . قامَّا الامير الذي كنت نازلًا عندهُ في الدار فجهزني بكل ما احتاجهُ في السفر

١) كانوا يسمون بلاد اميركة الهند الغربية ليفرقوها عن الهند الشرقيَّة

واعطاني مكاتيب وصيَّة الى بعض اصدقائه والامر الذي اخرجهُ من الملكة كان وصيَّتها عليَّ الى الوزير والى المطارنة والاساقفة والحكَّام في كل بلاد الهند على مساعدتي. ثم اني تقوَّيت بالربّ واعتصمت باسم والدتهِ مريم العذراء. وخرجت من مدريد قاصدًا مدينة قادس (Cadix) التي هي ميناء على البحر المحيط. فمن بعد سفر اثني عشر يومًا في البرّ دخلت اليها فرأيت مراكب الهند مهيئة ومستعدَّة للسفر. وفي هذه الاسكلة يقام ديوان مدبري المملكة فقدَّمت امر الملكة فسجَّلوهُ لي واعطوني امرًا ثانيًا بموجبهِ

ولمَّا كان اليوم الثاني عشر من شهر شباط سنة الف وستماية وخمس وسبعين من المسيح قدَّمت امري مع المكاتيب الى جنيرال الغلايين (١ دون نيقلاوس ده كورديوا. فحبَّني واستقبلني بكرامة عظيمة واعطاني كامره اي اوضة في مركبهِ فادخلت حوائجي في الاوضة وقفلت الباب. وهذا الغليون هو الرئيس على سائر الغلايين. وقد اخذت معي من قادس شماسًا من طائفة الروم مولودًا في اثينس لاني ما وجدت احدًا من ملَّتي ومن اولاد بلادي. فصار عندي ندم عظيم بسبب اني كنت سرَّحت ابن اخي الشماس يونان الى بلاد الشرق. ولكن ما عادت الندامة تفيد فنصحني البعض من الاصحاب قائلين لي ان هذا الرومي عند وصولك الى بلاد الهند سوف يتمرَّد عليك ويخرج من عندك. فعند وصولي جرى لي كقولهم

ثم اننا في ذلك اليوم المذكور قلعنا ونصبنا الاقلاع وسرحنا. وكان عدد الغلايين ستَّة عشر غليونًا. فتودَّعوا من الاسكلة بضرب المدافع ودقّ الابواق ونصبوا الاعلام والرايات (لها بقيَّة)

سويسرة افريقية او بلاد منليك

بقلم جناب عبدالله افندي نخايل رعد الصيدلي اللبناني في بلاد الحبشة (تابع لما سبق)

٦ القسم الادنى من الحبشة او البلاد الحارَّة

تتألف بلاد هذا القسم من الفلوات الواسعة والسهول المنبسطة والصحاري الفسيحة الفاصلة بين الحبشة والسودان من الشمال والغرب وبينها وبين الكونغو جنوبًا والاوغادن

(١ جمع غليون اي السفن (Galion)